مواطن من طنجة يرسم خارطة للمذهب المالكي من إفريقيا إلى أرض الصين

أ.د عبد الهادي التازي*

لم تكن طنجة تحلم بأنها ستملك في يوم من الأيام ابنا من أبنائها طبّقت شهرته الآفاق، وأمسى له مكان على سطح القمر يحمل رقم 7 من درجات العرض الجنوبية ورقم 50 من خطوط الطول الشرقية...، كان ذلك المواطن هو ابن بطوطة الذي ينتسب إلى أمه...

لقد تُرجمت رحلته إلى أكثر من خمسين لغة، كان آخرها الترجمة إلى اللغة الصينية التي ظهرت في ألف صفحة من الحجم الكبير، قيل عن ابن بطوطة الكثير وسيقال عنه الكثير، لكن في هذه المرة سنتحدث عن الرجل كناشئ في أحضان قضاة المالكية في شمال المغرب، وكمتتبع لحركة المالكية في أنحاء الدنيا التي كان يعيشها...

أدركته وفاته في "آنفا" العاصمة العلمية لإقليم تامسنا حيث كان يتولى القضاء فيه بأمر من السلطان أبي عنان، ولله در مولانا جلال الدين الرومي الذي قال: وهو مما رأيته منقوشا على قبره:

يا من تبحث عن مرقدنا بعد شد الرحال قبرنا– يا هذا– في قلوب العارفين من الرجال

دعونا نصطحب هذا المواطن الطنجي في رحلته الممتعة التي نعتها المستشرق الفرنسي أندري ميكيل بأنها "أهم وأصدق رحلة في تاريخ البشرية جمعاء...".

دعونا نرحل مع هذا الرجل وهو يعيش مع ذكر موطأ الإمام مالك التي تعتبر عند رجال الفكر الإسلامي بمثابة الرابط القوي الذي يشدنا إلى المذهب المالكي[1]، ذكر الموطأ من قبل ابن بطوطة لم يكن ذكرا عابرا ولكنه ذكر يعتبر بمثابة بطاقة تعريف يقدمها ابن بطوطة إلى قرائه تحمل معها الهوية المالكية التي تحملها أقطار الشمال الإفريقي لعالم المشرق قاطبة...

*– أستاذ التعليم العالي في تاريخ المغرب الإسلامي، وعضو أكاديمية المملكة المغربية– الرباط.

سنجد ابن بطوطة عند وصوله إلى المدينة المصرية النحريرية التي يسميها ابن دقماق بالنحراوية، يذكرها على أنها حديثة البناء... وأن أميرها كبير القدر، ويعرف بالسعد، ولم يكن رأي ابن بطوطة كافيا لإعطاء فكرة عن المدينة، وكان لابد له من أن يبحث عن مصدر القرار فيها: أعني قاضيها الذي لم يكن غير صدر الدين سليمان المالكي الذي يعتبر من كبار المالكية، وقد بلغ من المكانة العلمية ما جعل الملك الناصر يرشحه للسفارة لدى إيلخان عراق العجم والعرب السلطان محمد خُذا أُولْجَايتو...[2].

ولا بد أن ننبه هنا منذ البداية إلى أن ملك مصر بالرغم من أن له قضاة يستعين بهم على الحكم في البلاد، تُعطى الأولوية فيهم لقاضي المذهب الشافعي إلا أنه، أي ملك مصر يختار للمهمات الكبرى قاضي المالكية تقديرا منه لكفاءة القاضي المالكي وسعة علمه وحسه القانوني.

لم يكتف الرحالة الطنجي بالحديث عن قاضي مدينة النحريرية، ولكنه تجاوز ذلك للحديث عن قضاة عاصمة مصر جميعهم عند دخوله البلاد، وهكذا بعد ذكره للقاضي الشافعي الذي له الكلمة العليا في تولية سائر القضاة وعزلهم، يتصدى لذكر قاضي قضاة المالكية الإمام الصالح تقي الدين الإخنائي المالكي الذي كان يحظى من الملك الناصر بحب وتقدير، ويرجع إليه في القضايا الكبرى...، وعندما يتحدث الأطباء في مصر عن مرض زَرَق العين le Glaucone، يذكرون أن هذا القاضي المالكي أصيب بهذا المرض، ولكن العاهل المصري أبى إعفاءه ولو استمر أعْمَى: ما يؤكد ما قلناه عن المركز الذي كان ينعم به قاضي المالكية في بلاد مصر ولو أن التشريفات كانت تجعله من الدرجة الثانية بعد الشافعي!.

كان ابن بطوطة يتمعشر بأصدقائه المالكية، يرى فيهم الكفاية والدراية، يهتم بقصدهم ليس لأن لهم كلمة مسموعة عند رجال الحكم فحسب، ولكن لأنهم أهل للتمعشر والنجدة عند الحاجة العلمية دينا ودنيا...

وقد سنحت الفرصة لابن بطوطة أن يتحدث عن ملك مصر عندما يقعد لسماع المظالم على أرض مصر، وهنا وجدناه يغتنم الفرصة ليقارن أولا ويفارق بين ملك المغرب السلطان أبي عنان الذي كان يسلك مسلكا لم يسبق إليه، وهكذا فبينما كان ملك مصر يعهد إلى موظف يستمع الشكوى وينقلها إليه، نجد أن السلطان أبا عنان يفضل أن يستمع بنفسه إلى المشتكين...

ثم بعد هذا يفيد أن مرتبة القاضي المالكي كانت في ثالث مرتبة، لكنها أحيانا تتقدم إلى المرتبة الثانية عندما يتضح للأمراء أن القاضي المالكي يستحق أن يتقدم!. وهنا يحكي ابن بطوطة عن نازلة طريفة، فقد أنف قاضي الحنفية ذات مرة من أن يأتي في التشريفات بعد القاضي المالكي، وأضرب عن الحضور احتجاجا على القرار الملكي بذلك، فما كان من الملك الناصر إلا أن أرغم قاضي الحنفية على الحضور، وأمر الحاجب بإجلاسه مما يلي قاضي المالكية !! تم ذلك أمام سائر أعين الحاضرين...، ولعل مما يحملنا على تتبع خطوات ابن بطوطة حول الموضوع أن نقرأ عن دخوله لحمام المنية: منية ابن خصيب الشهيرة الذكر في التاريخ...

كان ابن بطوطة مولعا بزيارة الحمامات في كل بلاد يزورها حتى يرضي استطلاعه كما يحب الاستطلاع، على نحو ما كنت أعرفه عن صديق مغربي عزيز عليّ زارني وأنا سفير ببغداد ليسألني عما إذا كانت هناك بقية من حمام شرف الدين هارون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجويني[3]!!

وصل ابن بطوطة (المنية) وكان قاضيها يومئذ فخر الدين النويري المالكي، واتفق أن دخل ابن بطوطة الحمام فلاحظ أن الناس لا يستترون؛ فعظم عليه ذلك! فأتى القاضي المالكي وأخبره بما رأى من إهمال سكان المنية لستر عوراتهم! فأمره القاضي أن لا يبرح الحمام، وأمر بإحضار المكترين للحمامات بالمدينة جميعهم، وكتب عليهم العقود أنه متى دخل أحد الحمام دون مئزر فإنهم يؤاخذون على ذلك واشتد عليهم أعظم الاشتداد...[4].

ما نزال نتجول مع ابن بطوطة في أبّهاء مصر، ونصل معه إلى مدينة قوص معقل العلماء والفقهاء، ومنزل ولاة الصعيد...، كان من علماء قوص الذين استرعوا انتباه الرحالة الفقيه بهاء الدين بن عبد العزيز المدرس بمدرسة المالكية، وكذا الفقيه برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم الأندلسي الذي كانت له زاوية عالية...، والذي تذكر بعض المصادر المغربية أنه هو الفقيه الذي كان يلقي خطبة الجمعة في مسجد رُندة قبل أن يُستدعى لولاية القضاء بالمغرب فعاجلته المنية عند وصوله إلى سلا أواسط المائة الثامنة[5].

وكان مما نستدل به على مصداقية ابن بطوطة في معلوماته أنه يقتدي بالإمام مالك في خصوصية عظيمة... جعلت الإمام مالك يدخل التاريخ من أوسع أبوابه، هذه الخصوصية هي التي اشتهرت عنه في قولة مفيدة لا تتجاوز تسع كلمات: "من قال لا أدري علّمه الله ما لا يدري"، لم يخجل ابن بطوطة في أن يقول: هذا القاضي المالكي لم يحضرني اسمه! كما ولم يخجل

أن يقول: إن ذلك القاضي المالكي كان من الموثقين بمصر ولكنه أخذ الخطة من غير استحقاق! مما يكشف من جهة أخرى أن ابن بطوطة كان عالما فاهما خلافا لما يزعمه بعض الدجالين من أنّ بضاعته العلمية مزجاة!!.

وعندما زار جامع دمشق استوقفته معلومة تاريخية سمعها من الناس: إن محراب هذا الجامع هو أول محراب وضع في الإسلام، وفيه يؤم إمام المالكية....نحن نعلم أن هناك بجامع دمشق أربعة محاريب...

وقد كان في صدر أئمة جامع دمشق الثلاثة عشر إماما في عهد دخوله الأول إلى دمشق عام 726هـ/1326م، كان في صدرهم الفقيه أبو عمر بن أبي الوليد ابن الحاج التجيبي القرطبي الأصل الغرناطي المولد، نزيل دمشق وهو يتناوب مع أخيه فخر الدين بن عبد الله[6].

ولم يُضيِّع ابن بطوطة الفرصة وهو يذكر المدرّسين والمعلمين الذين كانوا يزاولون التدريس بجامع دمشق، لم يُضيّع الفرصة حيث نجده يذكر في صدر العلماء المدرّسين بالجامع الإمام نور الدين علي السخاوي المالكي المتوفي عام 756هـ/1356م، وقد نعته بالمالكي حتى لا يلتبس بالسخاوي الشافعي المتوفي سنة 643هـ/1245م.

ولا يجوز لنا أن نذكر هذا العالم الكبير نور الدين السخاوي دون أن نصحح خطأ فادحا وقع فيه الكاتب الأديب ابن جزي، ناسخ رحلة ابن بطوطة...؛ فقد سمح هذا الناسخ أن يخلق زيارة لابن بطوطة إلى أصفهان وشيراز عام 727هـ/1327م، بينما نجد أن ابن بطوطة في هذا التاريخ كان بمدينة دمشق ينتسخ بخطه كتاب "المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم" لأبي العباس أحمد القرطبي دفين الإسكندرية عام 656هـ/1258م، ينتسخه لصديقه نور الدين السخاوي، الفقيه المعروف...

لقد تسبب هذا السهو من الناسخ في شنّ حملة شعواء من رجال الاستشراق على رحلة ابن بطوطة، ولم يكن ليصحح الوضع إلا مخطوطة للأزهر الشريف، ومن هنا كان مقالي بعنوان: "اكتشاف غير مسبوق" الذي نشر بكل اللغات، وكان أيضا تأليفي "المستدركات" الذي نشرته وزارة الثقافة[7].

ونرى من المناسب جدا أن نستبق أرقام صفحات رحلة ابن بطوطة لننقل ما جاء في حديث عن عادة جميلة عند أهل دمشق: أنهم في شهر رمضان لا يعكفون على نفوسهم في بيوتهم يأكلون ويشربون وحدهم! بل إنهم، بمختلف شرائحهم الاجتماعية، يستدعون الفقراء

لتناول طعام الإفطار معهم مع أبنائهم وأسرهم... حتى من كان فيهم من الضعفاء والبادية يجتمعون كل ليلة في دار أحدهم أو في مسجد، ويأتي كل أحد بما عنده فيفطرون جميعا قال: وردت دمشق، وأعتقد أن هذا الورود المتحدث عنه كان سنة 727هـ/1327م، ووقعت بيني وبين نور الدين السخاوي مُدرّس المالكية صحبة فرغب في أن أفطر عنده في ليالي رمضان؛ فحضرت عنده أربع ليال، ثم أصابتني الحمى ففبت عنه، فبعث في طلبي فاعتذرت بالمرض، فلم يوسعني عذرا فرجعت إليه وبت عنده، فلما أردت الانصراف منعني من ذلك وقال لي: احسب داري كأنها دارك أو دار أبيك أو أخيك، وأمر بإحضار طبيب وأن يصنع لي بداره كل ما يشتهيه الطبيب من دواء وغذاء، وأقمت عنده كذلك إلى يوم العيد، وحضرت المصلى وشفاني الله تعالى مما أصابني...

لقد تعمدت إيراد نص هذا المقطع من الرحلة لتأكيد وجهة نظري من أن ابن بطوطة كان عام 727 هجرية بدمشق وليس بجنوب إيران[8]، ولأكرر القول: أن رمضان عام 726هـ لم يكن فيه ابن بطوطة مؤهلا لهذه المبادرة من الشيخ السخاوي الذي طلب من الرحالة عام 727هـ ترميم مخطوطته من كتاب "المفهم للإمام القرطبي" رحم الله الجميع.

ويبدو أن ابن بطوطة اندمج اندماجا كليا مع زملائه من أصحاب الإمام مالك، وهكذا نجده يروي قولة عن القاضي المالكي آنذاك شرف الدين حول نازلة غريبة وقعت بالبلاد عندما جرؤ أحد الشيوخ المقربين للأمير تكذيب قاض للشافعية في قصة رواها! عندها اشتكى القاضي الشافعي للأمير من الشيخ المقرّب، فأنصف الأمير القاضي الشافعي وسلم الشيخ له لكي ينال حقه منه، وكان الأمير يقصد إلى أن يتصرف القاضي تصرفا معتدلا، لا ينال الشيخ بسوء كثير، لكن القاضي الشافعي أحضر الشيخ إلى المدرسة العادلية وضربه مأتى سوط! وطيف به على حمار في شوارع دمشق!! فامتعض الأمير من عنف حكم القاضي الشافعي وأحضر القضاة فأجمعوا على خطأ القاضي، وكان رأي قاضي القضاة المالكية شرف الدين هو الحكم بتفسيق القاضي الذي تجاوز الحدّ المعروف في فقه الشافعية...، وقد أقرّ ملك مصر نظرية قاضي المالكية وعزل القاضي الشافعي!!.

وحتى يتقن ابن بطوطة عمله في رسم خارطة المذهب المالكي وجدناه يذكر، وهو بدمشق أن للمالكية بدمشق وحدها ثلاثة مدارس: كلها بنيت مكان القصر الأموي للخليفة هشام: إحداها المدرسة الصمصامية الحالية التي بنيت عام 718هـ/1318م...، والمدرسة الثانية

للمالكية هي المدرسة النووية، وقد عمرها السلطان نور الدين محمود ابن زنكي، أما الثالثة فهي المدرسة الشرابشية، عمّرها شهاب الدين الشرابشي التاجر[9].

وعندما تحدث عن العلماء والعالمات الذين أجازوه في دمشق، لم يكن يميز منهم بين منتسب لهذا المذهب أو ذاك، إنما كان يهمه أخذ العلم!

وأمام هذه الحشود من علماء السنة الذين لقيهم في دمشق، وبخاصة من قضاة وعلماء المالكية، وجدناه يضحك مما سمعه عن وجود طائفة في البلاد تنتسب إلى الإسلام لكنها لا تقوم بتطهير أبنائها أي ختانهم، مع أنّ من سنن أهل الملة الإسلامية أن يقوموا بتلك الشعيرة...

وأحب قبل أن يودع ابن بطوطة أرض المماليك: مصر والشام، أن أذكر حقيقة تاريخية تتصل بالمذهب المالكي في بلاد المشرق، وهي أن ظهور المذهب لم يختلف عما كان عليه الأمر أيام وجود ابن خلدون بمصر قاضيا على المسلمين...

وعندما يودع ابن بطوطة بلاد الشام ويصل إلى المدينة المنورة لم يهتم بشيء غير البحث عن المسجد النبوي الذي يمسحه مسحا بأرضه وزواياه، وهو لم ينس في هذا المسح دار إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن انس مؤسس المذهب المالكي، المتوفي عام 179هـ/795م، والذي- كلنا يعلم- سأله المنصور العباسي أن يضع له كتابا للناس يحملهم على العمل به فصنف "الموطأ" الذي يظل عمدة يرجع إليها المالكية على ما سبقت الإشارة إليه...

لم ينس ابن بطوطة أن يحدد للناس دار الإمام مالك، وأنها شرقي المسجد الكريم...، كان يعتبر هذا المكان منسكا من المناسك التي يجب الوقوف عندها! ولقد ذكر مثل هذا الرحالة ابن جبير الأندلسي تعبيرا من الرحالين المغاربة والأندلسيين عن اهتمامهم بإمام المذهب[10].

ولم يفت ابن بطوطة وهو يتحدث عن أئمة المسجد النبوي أن يتذكر الإمام في عهد دخوله إلى المدينة: سراج الدين عمر المصري الذي استمر خطيبا نحو أربعين سنة، والذي كان ينوب عنه الفقيه أبي عبد الله محمد بن فرحون، وأبناؤه الآن- يقول ابن بطوطة- موجودون بالمدينة المنورة: أبو محمد عبد الله الملقب بدر الدين مدرس المالكية ونائب الحكم، وأبو عبد الله محمد، وأصلهم من مدينة تونس ولهم بها حسب وأصالة[11].

وقد كان من المجاورين بالمدينة الفقيه أبو العباس أحمد الفاسي الذي كان مدرس المالكية بها، والذي تزوج بنت الشيخ الصالح شهاب الدين الزرندي.

هذا الفاسي الذي عقب عليه الرحالة الطنجي بما حصل له من متاعب مع أمير المدينة الشريف الحسيني طفيل بن منصور بن جماز، لقد قال الفاسي ذات يوم: إن الحسين بن علي بن أبي طالب لم يعقب! وبلغت هذه المقولة لأمير المدينة وهو كما قلنا شريف حسيني!! فأنكر الأمير هذه المقولة وأراد تصفية الفاسي فكُلّم في ذلك فاكتفى بنفيه عن المدينة، ويذكر أن الأمير طفيل بعث من اغتاله!! نعوذ بالله من زلة اللسان يقول ابن بطوطة[12]...

وقد تطوع الرحالة الطنجي بذكر أخبار المغاربة الذين لقيهم أو سمع بهم، وبخاصة ممن ينتسبون للمذهب المالكي، وهكذا وجدناه يتتبع أخبار صاحبيه: أبا محمد عبد الله بن فرحان الإفريقي التوزري، وأبا العباس أحمد الأندلسي الوادي آشي... اللذين قصدا عام 728هـ زيارة الغار الذي آوى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم...وضلا طريق الغار، وكان الأوان أوان حرّ شديد...، وأخذا في العودة إلى مكة، وعجز الفقيه التوزري عن المشي، وألقى بنفسه أرضا! ونجا الأندلسي بنفسه ودخل مكة، وقصد ابن بطوطة لإخباره بالحادثة وبما كان من التوزري حيث قصد ابن بطوطة شخصية متنفذة بمكة معروفة بلقب هام: إمام الموسم الذي يعهد إليه عادة بالتصرف في علاج المشاكل الطارئة والتصرف حسبما يراه، ولم تكن هذه الشخصية غير الشيخ الصالح الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بخليل إمام المالكية...، وإن مجرد استحقاق هذا الفقيه المالكي ليكون إمام الموسم كاف لإعطاء فكرة عن تمكن المذهب المالكي في مكة المكرمة[13].

ونحن نتقفى آثار ابن بطوطة وهو يعيش مع مراجع المالكية، نقف على لقطة هامة من تاريخ الإسلام في إفادات الرحالة، ويتعلق الأمر بحادثة يذكرها المسلمون اليوم وجلودهم تقشعر من هول الحدث...

عندما كان الرحالة يتحدث عن فضائل عمرة رجب ذكر أن عبد الله بن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة خرج معتمرا يوم السابع والعشرين من رجب حيث أحرم من الأكمة التي توجد أمام مسجد عائشة.

ثم لما قتل ابن الزبير نقض الحجاج الكعبة وردها إلى بنائها في عهد قريش، ثم أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يعيدها إلى بناء ابن الزبير...، هنا يظهر الإمام مالك على الساحة وينهى الخليفة أبا جعفر المنصور عن ذلك قائلا كلمته المشهورة: "يا أمير المؤمنين لا تجعل البيت ملعبة للملوك، متى أراد أحدهم تغييره فعل"!!

هكذا نجد ابن بطوطة لا ينفك متتبعا خطوات الإمام مالك ابن أنس رحمه الله ومواقفه إزاء السلطة...، وأخيرا وليس آخرًا نجد الرحالة الطنجي وهو يتحدث عن عادة أهل مكة في شهر رمضان، يذكر أن الأئمة في المسجد الحرام تتفرق فرقا...، وأما المالكية فيجتمعون على أربعة من القراء: يتناوبون القراءة ويوقدون الشمع، ولا تبقى في الحرم زاوية ولا ناحية إلا وفيها قارئ يصلي بجماعته...

وعلى نحو ما يقوله آخرون يذكر ابن بطوطة أن أعظم ليالي رمضان هي ليلة السابع والعشرين من رمضان حيث يختم القرآن العظيم...، ثم يكون الختم ليلة تسع وعشرين في المقام المالكي في منظر مختصر، وعن المباهاة منزه موقر... فيختم الإمام ويخطب.

وبهذا يودعنا الرحالة إلى أرض العراق...؛ فماذا عن اكتشافاته حول المالكية والإمام مالك؟ لعلّ مما يذكر في باب تحدي ابن بطوطة للذين لا يتبعونه في المذهب ما أورده في رحلته عن زيارته للعراق، وبالذات عن مسجد الإمام علي كرّم الله وجهه في مدينة البصرة حيث وصف صوامع المسجد السبعة، كانت إحداها تتحرك عندما يمسك أحدهم بمقبض خشب هناك ويذكر اسم علي! جعل أحدهم يده على المقبض قائلا: بحق رأس أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، تحركي! وهز المقبض فتحركت الصومعة...

هنا أقدم ابن بطوطة على جعل يده في المقبض وقال: بحق رأس أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحركي! وهز المقبض فتحركت الصومعة! فعجبوا من ذلك!! ولم يفت ابن بطوطة أن يعلق على هذه "المغامرة منه" بقوله: وأهل البصرة على مذهب أهل السنة والجماعة، ولا يخاف من يفعل مثل فعلي إلى آخر ما قال!![14].

وحتى لا يغفل عن دروب خارطته المالكية يذكر أنه وهو في مدينة صنوب (Sinop) إحدى المراسي الأساسية لبلاد الأناضول على البحر الأسود... لما دخل هذه المدينة رآه أهلها وهو مع أصحابه يصلي مسبلا يديه، وكان السكان أحنافا لا يعرفون مذهب مالك ولا كيفية صلاته والمختار من مذهبه وهو الإسبال، وكان بعضهم يرى الروافض بالحجاز والعراق يصلون مسبلي أيديهم، فاتهموا ابن بطوطة وجماعته بمذهب الروافض، وسألوا جماعة ابن بطوطة عن ذلك فأخبروهم بأنهم على مذهب مالك، فلم يقتنعوا بذلك، واستقرت التهمة في نفوسهم حتى بعث نائب السلطان لجماعة ابن بطوطة بأرنب وأوصى بعض خدامه أن يلازمنا حتى يرى ما نفعله به!! هنا نجد ابن بطوطة وجماعته يقومون بذبح الأرنب وأكله...، وانصرف الخديم إلى

نائب الحاكم وأعلمه بذلك، فحينئذ زالت عنهم التهمة وبعث الحاكم بالضيافة للزائرين، ويكمل ابن بطوطة معلومته هذه بالتأكيد على أن الروافض لا يتناولون الأرنب!...[15].

ويبلغ ابن بطوطة إلى القارة الهندية حيث حمل لقب بدر الدين، ويستقبله سلطان الهند محمد بن تُغلق الذي أخذ بيده وصافحه، وأخذ يخاطبه بأحسن خطاب...، وسأله عن بلاده فأجاب ابن بطوطة: بلاد المغرب؛ فقال له السلطان: هل بلاد عبد المؤمن؟ فقال ابن بطوطة: نعم...، ونحن نعلم أن المؤرخ الفرنسي صطيفان كزيل قال في تأليفه عن التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية الذي صدر منذ بداية القرن الماضي: إن هناك ملوكا أربعة يرجع لهم الفضل في توحيد المغرب: الملك ماسينيسا، والعاهل المرابطي يوسف بن تاشفين، والخليفة الموحدي عبد المومن، والسلطان مولاي إسماعيل[16]...

لقد عينه سلطان الهند قاضي دار الملك: دهلي، وجعل له مرتب اثني عشر ألفا نقدا، وأعطى له فرسا بسرجه ولجامه، وأمر له بخلعة محاريبي يكون في صدرها وظهرها شكل محراب، ولما مثل ابن بطوطة بين يدي السلطان قال له: لا تحسب قضاء دهلي من أصغر الأشغال بل هو أكبر الأشغال!! فقلت له: يا مولانا على مذهب مالك وهؤلاء حنفية؟ وأنا لا أعرف اللسان، فقال له السلطان: قد عينت بهاء الدين الملتاني وكمال الدين البجنوي ينوبان عنك ويشاورانك، وتكون أنت تسجل على العقود وأنت عندنا بمقام الولد! ثم قال السلطان لشرف الدين أمير بخت: وإن كان الذي رتبت له لا يكفيه لأنه كثير الإنفاق فأنا أعطيه زاوية إن قدر على إقامة حال الفقراء إلى آخر ما جاء في الرحلة من أمر السلطان لأصحاب ابن بطوطة بألفي دينار وعشر خلع، ولم يعط لأصحاب أحد سوا شيئا، وكان أصحابي لهم رواء ومنظر، فأعجبوا السلطان[17].

وقد كان من أطرف ما يحكى عن ابن بطوطة حول تمعشره بمالك والمالكية أنه في بعض الأحيان يغض الطرف عن المتابعة الدقيقة لآراء المالكية، وهكذا فإذ نسجل عليه وهو في مدينة إيذج IZEH التي كان يحكمها السلطان أفراسياب في طريق عودته لبلاده عام 748هـ/1347م[18]، إذ نسجل عليه أنه أجاب خدام السلطان الذين وردوا عليه مع أهل السماع راغبين أن يقوم ابن بطوطة مع رفاقه بإنشاد سماع...، أجابهم ابن بطوطة بأن أصحابي لا يدرون بالسماع ولا بالرقص، ملتزما في هذا ما ورد في رسالة الشيخ أبي زيد القيرواني، إذ نسجل عليه هذا الموقف الذي يتماهى مع المذهب، نجده في بعض أسفاره بالهند يصحب معه

عددا من المغنيين ليسمعوه النوبات المطربة! ما يعني أن موقف ابن بطوطة من الموسيقى كان يتغير في بعض الظروف!![19]، وهذا ما يحتج به الذين يميلون لسماع الطرب!!

وتأتي الحصة الثمينة للاهتمام بالمذهب المالكي عندما يصل الرحالة الطنجي إلى جزر مالديف في المحيط الهندي!!، هنا سنقف على "المفاجآت" العظيمة التي حيرت الكتاب والتراجمة والمتتبعين للتاريخ الدولي لجزر مالديف.

عندما زار الرحالة المغربي ابن بطوطة في سنة 744هـ/1344م جزر مالديف التي كانت تحمل اسم "ديبة المهل"، لقي ترحابا كبيرا لدى المالدفيين، وقد عزا ذلك إلى كونهم يحتفظون بحب كبير للمغاربة لأنهم، أي المالدفيين، عرفوا الإسلام عن طريق مغربي سابق يسمى أبا البركات البربري، كان زار بلادهم قبل نحو من قرنين، وحملهم على اتباع مذهب الإمام مالك على عادة المغاربة[20].

أكثر من هذا أخذوا ابن بطوطة إلى المسجد العتيق الذي كان حديث عهد بالتجديد من طرف السلطان شهاب الدين...، وهناك عاين الرحالة المغربي، صحبة مرافقيه الذين كان على رأسهم القاضي عبد الله، النقش التأسيسي في الخشبة الموضوعة في أعلى المحراب، وضمنها: "أن سلطان البلاد أسلم على يد أبي البركات البربري..."، ومنذ ظهور رحلة ابن بطوطة والناس ينقلون هذه المعلومة غربا وشرقا بمختلف اللغات التي تجاوزت الخمسين لغة...

وقد حُبّب إليّ أن أقوم بدراسة ميدانية لهذه اللوحة، وهكذا قمت صيف عام 1990م برحلة إلى تلك الجزر التي تقع كما نعلم في المحيط الهندي.

ومن حسن الحظ أن اللوحة المتحدث عنها، والتي تحمل تاريخ التأسيس الذي هو 548هـ/1053م توجد الآن بالمتحف الوطني لعاصمة الجمهورية المالديفية، نقلت إليه من مكانها الأصلي في الجامع القديم بمناسبة عمليات تجديد البناء التي جرت أواسط الستينيات...، وهي أي، اللوحة، عبارة عن قطعة واحدة من شجر الساج (Platante)، طولها من ثلاثة أمتار وخمسة وعشرين سانتيمترا على عرض خمسة وأربعين، ويحتوي النقش على ثلاثة سطور تتضمن نصين تاريخيين متتابعين:

الأول: يتعلق ببناء الجامع في الفترة التي قام فيها أبو البركات البربري بزيارة المدينة، ومن جملة ما فيه بالضبط: ووصل في هذا البلد أبو البركات (يوسف)؟ البربري وأسلم السلطان على يده في شهر ربيع الأخير سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

والنص الثاني يتعلق بإعادة بناء الجامع عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة على يد السلطان شهاب الدين، ست سنوات فقط قبل وصول ابن بطوطة لمالديف.

وقد قمت في البحث بالتعريف بالشخصيات التي ورد ذكرها في النقش، كما قمت بدراسة للألقاب الفخرية والكنى التي اشتمل عليها النصان معا...

وهكذا عرفنا عن اسم السلطان الذي اعتنق الإسلام: محمد بن عبد الله، وعرفنا عن أخيه سِيري كَالُو (Sirikalo) الذي كان يشاركه الحكم، وكذا عن وزيره الأول الذي كان يحمل لقب شَنُوراجَا (Shanu raja) ثم عرفانا عن السلطان شهاب الدين وعن وزيره الأول الذي كان يحمل نفس اللقب شنوراجا.

وفيما يتصل بأبي البركات البربري الذي يُردّد سائر الناس إلى الآن اسمه على أنه "سيد البلاد" فقد ذكرت أن ابن بطوطة ساق اسمه عشر مرات في رحلته، متبوعا في بعض الأحيان بنعت المغربي زيادة في التأكيد والتوضيح[21].

ولم يكن ابن بطوطة يشعر- وهو يقدم تلك الأخبار- بأنه يقدم معلومات غير عادية، فلقد عرفت كتب التاريخ عن بعض المغاربة الذين وصلوا الصين قبل أبي البركات البربري، وأصبحوا يضيفون نعت "الصيني" إلى اسمهم الأصلي! وقد وجد ابن بطوطة نفسه- لما بلغ الصين- جالية مغربية في خان جانفو (khan Djanfou)...

ويؤكد الباحث الأمريكي البروفيسور روس دان (Ross Dunn) أن أبناء شمال إفريقيا والأندلس كانوا أكثر نشاطا في التجارة الهندية من غيرهم من العرب والفرس أثناء القرن الحادي والثاني عشر...، ومن ثمة لم يكن غريبا أن نجد اسم البربري منقوشا على اللوحة المذكورة...

وقد خلصتُ بعد هذا التمهيد إلى التعقيب على ما ورد في كتاب ظهر مؤخرا في مالديف، بعنوان: "تاريخ إسلام ديبا محل"، ألفه القاضي تاج الدين حسن عام 1139هـ/1726م[22]، وهو الذي أشار إليه الباحث البريطاني فوربس (Forbes) في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الجديدة: مادة مالديف.

لقد تجلى أن تاج الدين كتب مخطوطته في غيبة تامة عما سجله شرف الدين ابن بطوطة قبله بنحو أربعة قرون.!! والجدير بالذكر هنا أن رحلة ابن بطوطة لم يشتهر أمرها هناك في

المشرق وفي العالم الغربي إلا بعد أن ظهرت في باريس أواسط القرن التاسع عشر مصحوبة بالترجمة الفرنسية...

وهكذا وقفت على الخطأ الفادح الذي وقع فيه القاضي تاج الدين حينما قرأ كلمة البربري، قرأ عوضها التبريزي!!

ولم أكن في حاجة إلى جهد كبير لأقرأ كلمة "البربري"، فهي واضحة جدا...؛ فعلى خلاف عادة إهمال تنقيط الحروف في معظم هذا النقش وجدت أن الناقش جعل نقطة تحت الباء، ويتساءل المرء حقيقة: من أين أتت المخطوطة بحرف التاء؟!

وقد قمت بأخذ رسم للوثيقة في نفس الحجم الذي هي عليه: ثلاثة أمتار و25 سنتمترا، وأجعله أمامكم اليوم لتحكموا بأنفسكم على ما إذا كانت الكلمة من أربعة أحرف: "بربر" أو خمسة "تبريز"، وهل هي مبدوءة بالباء أو التاء؟ البربري.

وقد حُبّب لي بعد ضبط هذه الهفوة أن أتتبع المعلومات الأخرى التي قدمها تاج الدين وبخاصة منها ما يتصل بالعهد المتقدم، وهكذا وجدت عددا من الهفوات التي تستحق الوقوف عندها؛ فمثلا: نعت القاضي تاج الدين ذلك "التبريزي" الذي اخترعه، بنحو عشرين صفة ولقبا إلا كنية "أبي البركات" التي وردت في كل من اللوحة المنقوشة ورحلة القاضي ابن بطوطة!.

ومثلا اللوحة المذكورة- وهي حجة "معاصرة" هامة- تذكر أن الذي أصدر الأمر بتوسعة المسجد في شهر ذي الحجة عام 738هـ/1339م هو السلطان شهاب الدين الذي تدعو له الوثيقة بكلمة خلد الله ملكه، وهو تعبير يدل على أنه يمارس الحكم...

وفي مقابلة هذه المعلومة المنقوشة المعاصرة نجد القاضي تاج الدين يذكر أن شهاب الدين إنما تولى عام 741هـ/1341م!!، ومثلا: السلطانة خديجة التي زار القاضي ابن بطوطة مالديف في عهدها مرتين اثنتين: كان في أولاهما قاضيا متنفذا في مملكتها، تقول رحلة ابن بطوطة إنها، أي السلطانة، تولت الحكم بعد إقصاء أخيها السلطان شهاب الدين عام 740هـ/1340م، وفي مقابلة هذا نجد القاضي تاج الدين يذكر أنها لم تتول الأمر إلا عام 748هـ/1347م أي بعد مغادرة ابن بطوطة لمالديف بنحو ثلاث سنوات!!

وهكذا يتضح أن "اللوحة" و"الرحلة" وهما معاصرتان تقدمان معلومات ذات مصداقية يجب أن تعطي الأسبقية على ما كتب بعد أربعة قرون!

وقد نبه زميلي المستشرق الياباني الأستاذ هيكوايتشي ياجيما (Hikoichi Yajima) الذي قام بنشر الكتاب المذكور وتحقيقه وترجمته في الفترة الأخيرة[23] بدوره إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها القاضي تاج الدين، كما نبه الأستاذ ياجيما إلى مثال آخر من تلك المعطيات الخاطئة، إن القاضي حسن يذكر: أن السلطان الهلالي قام بحجه سنة 871هـ/1467م.

وفي مقابلة هذا نجد الجزيري- وهو معاصر- يصف وصول هذا السلطان إلى الديار المقدسة بتاريخ 838هـ/1434م أي بفارق 33 سنة!

لقد ظلت لازمة المستشرق الياباني ياجيما هي الحذر من المعلومات التي قدمها القاضي تاج الدين، وبخاصة في الفترة التي تسبق اجتياح البرتغال لمالديف عام 965هـ/1558م.

وبعد هذا أذكر أن اللوحة التي وقف عليها ابن بطوطة تعرضت لخطأ ثان عندما أريد نقل ما فيها إلى قطعة معدنية بمناسبة تجديد المسجد؛ فلقد حرّف بعض النساخ كلمة أبي البركات إلى أبي الرّكاب على نحو ما حرفت كلمة "البربري" إلى التبريزي! وهو ما وقفت عليه في القطعة المعدنية الجديدة التي نصبت على مقربة من المحراب!!

إن ما تعرض له هذا النص من أخطاء وتحريفات ربما يدفع بنا إلى المطالبة بحقنا التاريخي! ومن حسن الحظ أن الجهات الرسمية في مالديف ما انفكت تؤمن بمصداقية ما رواه الرحالة المغربي عن أهل مالديف...؛ فقد سمعنا السيد رئيس الجمهورية يشيد في خطابه الرسمي بمناسبة عيد الاستقلال مؤخرا بالحضور المغربي في كتابه تاريخ مالديف، ووجدناه ينوه بعمل أبي البركات البربري وعمل ابن بطوطة الطنجي اللذين يرجع لهما اكبر الفضل في التعريف بمالديف لدى العالم العربي والإسلامي...

ولنودع مالديف مع ابن بطوطة لنرحل معه إلى الصين التي أخذت بمجامع لُبِّه! حكى عن كل شيء فيها مما جعل الصين اليوم تحتفل به، وتعقد الندوات من أجل إحياء ذكراه...، الرئيس الصيني شو آن لاي عندما زار المملكة المغربية يوم 27 دجمبر 1963 اعترف أمام الملك الحسن الثاني بأن ابن بطوطة هو الذي قدم الصين للعالم العربي في العصر الوسيط، وأنه أي الرئيس يرغب في زيارة مدينة طنجة، هذه التربة التي أنجبت ابن بطوطة[24].

في الصين... ذكر الرحالة الطنجي معلومة لا تزال إلى اليوم حديث المجالس عند كل الذين كانوا يهتمون بعلاقات آسيا بإفريقيا، وفي صدرهم الرئيس الصيني شو آن لاي سالف الذكر، والذي أنشأ معهد الدراسات الدولية لشانغهاي من أجل تتبع هذا المبدأ...

هناك في الصين بمدينة قنجنفو (Hangzhou) وهو في ضيافة ظهير الدين القُرْلاني إذا به يسمع بوصول مركب قوام الدين السبتي، ويدخل عليه قوام الدين هذا ويتعارف الرجلان: الطنجي والسبتي، ويبكيان من التأثر...، العالم صغير كما نقول اليوم، ويتبين أن المعرفة بينهما كانت أولا في الهند، وكان قوام الدين مرافقا لخاله أبي القاسم الذي ينتسب لمدينة مرسية الأندلسية! وكان قوام الدين هذا معروفا آنذاك باسم البِشْري، هذا البِشْري هو الذي سيقدر لابن بطوطة أن يجتمع بأخيه الفقيه أبي محمد البِشري عندما سيقوم برحلته اللاحقة إلى سجلماسة[25].

المهم بالنسبة إلي، وأنا أتتبع ابن بطوطة في رسم الخارطة المالكية، المهم أن أقول إن قوام الدين الذي كان يملك قطعة أسطول استطاعت أن تصل لبلاد الصين، هذا المواطن السبتي يقول عنه ابن بطوطة: إنه يحفظ الموطأ الذي يعتبر-كما هو معلوم- أول كتاب في الفقه الإسلامي على ما أسلفنا.

ولم تطب نفس للرحالة الطنجي في تفقد أصدقائه من المالكية، وهكذا نجده وهو في طريق العودة إلى بلاد المغرب يمر بدمشق حيث يلتقي بأستاذه وصاحبه إمام المالكية نور الدين السخاوي الذي كان انتسخ له "المفهم" بالمدرسة العزيزية على ما أسلفناه...

وقد اكتشفنا بهذه المناسبة أن لابن بطوطة ولدا من زوجة له من أصل مكناسي كان تركها حاملا وهو في اتجاه المشرق!! كان يرسل له من الهند بعض المال عن طريق جده للأم، لم يكن لابن بطوطة هم سوى السؤال عن الولد الذي وجده قد توفي قبل اثنتي عشرة سنة!! وهناك في دمشق أيضا تعرّف على عالم من علماء طنجة يسكن بالمدرسة الظاهرية كان هو الذي أخبره بأن والده أي والد ابن بطوطة توفاه الله قبل خمس عشرة سنة!!.

وبمناسبة مقامه في دمشق أفادنا أيضا بأن مدينة دمشق لم تخل من علماء مغاربة يعملون على نشر المذهب المالكي، وهنا يقدم لنا قاضي قضاة المالكية الشيخ جمال الدين محمد ابن عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك المسلاتي الذي كان حسن الشكل وكان يتكلم في الأدبيات، في مقامات الحجازيات والحلبيات[26].

وكان مما سجله عن حضور المالكية في بلاد الشام وهو عائد إلى بلاده أن القضاة الأربعة، وعلى رأسهم قاضي القضاة المالكية، أفتوا بإعدام فقير يعرف بشيخ المشايخ، قال في بعض كلامه: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصبر عن النساء، وإني أصبر عنهن!![27].

وفي حجته السابعة التي ودع فيها مكة نراه ينزل في جوار إمام المالكية أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو خليل إمام الموسم سالف الذكر[28].

ولم ينته الأمر عند هذا في تتبع ابن بطوطة للمذهب المالكي فقد وجدناه في مهمته بالأندلس... وهو في جبل طارق، وفي رندة، وفي مالقة، وفي غرناطة يجتمع بأعلام المذهب المالكي أدباء أساتذة وقضاة...

ذكر منهم بجبل طارق الخطيب أبا زكرياء يحي السراج الرندي الأصل والقاضي عيسى البربري...، وذكر منهم في رندة التي كانت تابعة لحكم المملكة المغربية آنذاك ابن عمه القاضي أبا القاسم محمد بن يحي ابن بطوطة كما لقي بها الفقيه القاضي الأديب أبا الحجاج المنتشاقري، وخطيبها أبا إسحاق إبراهيم المعروف بالشندرج المتوفي بسلا سالف الذكر...، وذكر من فقهاء مالقة قاضيها وخطيبها أبا عبد الله محمد أبي جعفر ابن خطيبها أبي عبد الله الطنجالي...

وذكر من فقهاء غرناطة قاعدة بني نصر حيث كانت تحت حكم أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الذي بعثت والدته الأميرة بهارة للرحالة بعدد من الدنانير الذهبية التي ارتفق بها على حد تعبيره.

والمهم- ونحن نتحدث عن خارطة المالكية- أن نذكر أنه اجتمع في غرناطة بقاضي الجماعة أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسيني السبتي، كما اجتمع بالفقيه المدرس الخطيب أبي عبد الله محمد بن إبراهيم البياني، وبالعالم المقرئ الخطيب أبي سعيد فرج الشهير بابن لب، وبقاضي الجماعة أبي البركات محمد بن إبراهيم البلفيقي...

ومن المفيد أن نرى ضمن هاته الجماعة الكاتب الأديب ابن جزي ناسخ الرحلة، والذي أثنى على مجلس ابن بطوطة وطرائفه وأدبياته...، ولم يكن يعرف أن القدر كان يدخر له أن يخلد اسمه كناسخ لرحلة ابن بطوطة[29].

ولم يخلف ابن بطوطة عادته وهو يقوم برحلة ثالثة إلى بلاد السودان حيث لم يفته أن يصنف رجال الدين من أهل السودان، وهكذا وجدناه وهو في زيارته لمدينة وَنْجرَاته، بلاد التبر المشهورة بكثرة ذهبها، وهي المدينة التي يسميها الشريف الإدريسي ونفارة[30]. هذه المدينة التي يسكنها إلى جانب التجار جماعة من البيضان يذهبون مذهب الأباضية من الخوارج...، لكن هناك طائفة من السنيين المالكين من البيض يحملون نعت التورين، ويذكر التاريخ أنه بعد مرور ابن بطوطة بتلك النواحي، آل أولئك الأباضية إلى اعتناق المذهب المالكي[31].

ويلقي ابن بطوطة عصا تسياره في بلاد المغرب، وفي مدينة فاس عاصمة المملكة، وهنا يجد نفسه في عقر المالكية الذين كانوا يتمتعون بوضع مريح في ظل السلطان أبي عنان الذي عين ابن بطوطة بـ"أكاديميته" العلمية التي كانت تحتضن كبار رجالات الفكر والعلم من مختلف حقول المعرفة، أمثال القاضي أبي عبد الله المقّري، والخطيب أبي عبد الله الفشتالي العارف بالفقه المالكي، والعلامة السدراتي، وعمر البطوئي المعروف بابن البحر، والمعافري التلمساني، والقاضي القبّاب، والإمام الحسني، والخطيب ابن مرزوق والخطيب العقباني، والمفتي الصرصري، والقاضي العمراني والمفتي ابن المفتي اليزناسني، والقاضي المالقي، والخطيب البرجي والنوازلي بوخريص الياباني، والقيم على حفظ المدونة النفزي المعروف بأبي عائشة، والفقيه ابن الإمام، إلى آخر اللائحة الطويلة العريضة[32].

وبعد فقد حُبّب إليّ ونحن نتحدث عن الإمام العظيم مالك ابن أنس، أن يكون إسهامي في ذكراه بقيام مواطن مغربي بوضع خارطة- لأول مرة- انطلاقا من بلاده المغرب، ومرورا ببلاد المغرب الكبير إلى مصر... إلى بلاد الشام إلى الحرمين الشريفين...إلى...بلاد الروم... إلى الهند... إلى مالديف...إلى الصين... ثم في رحلة ابن بطوطة الثانية إلى الأندلس، ثم الرحلة الثالثة إلى بلاد السودان.

كانت عبقريةً رائعةً من الرحالة المغربي الذي عرف كيف يرسم هذه الخارطة الجغرافية لمواقع المذهب المالكي من جهة، ثم ليقدم لنا معلومات بالغة الأهمية تتعلق بنشاط الفقهاء والقضاة المالكية...، وقد كان الرحالة في كل هذه المبادرات لا يتردد في الاعتزاز بخصوصيته المذهبية داعيا إلى اعتناق هذا المذهب الذي كان يرى أنه يستجيب لكل الرغبات ولكل النوازع التي تخالج الإنسان.

الهوامش:

1- التازي عبد الهادي: المذهب المالكي كشعار من شعارات الدولة المغربية. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ندوة الإمام مالك، إمام دار الهجرة فاس 1400هـ/1980م، الجزء الأول ص87-د. التازي: الدور السياسي لرسالة ابن أبي زيد القيرواني في الغرب الإسلامي، ندوة القيروان بتونس، بيت الحكمة 20-25 أبريل2009.

2- رحلة ابن بطوطة، تقديم وتحقيق: د. عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة التراث، المجلد الأول ص53-1417/54هـ/1997م رقم الإيداع القانوني 1997/321. ولابد من الإشارة إلى أنني في تحقيقي للرحلة قررت أن أسلك الترقيم الدولي الذي دأبت عليه كل النشرات الدولية.

3- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس- دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م-ج3-348-349.

4- رحلة ابن بطوطة ج1ص:100

5–هذا السيد هو المعروف بالشندرج...انظر رحلة ابن بطوطة الجزء الرابع حيث كان يقوم بزيارة الأندلس، وانظر مع هذا معلمة المغرب ج13 ص4450 نقلا عن بوجندار في تأليفه الاغتباط، وأخيرا انظر تأليفنا (رندة الأندلسية في عهد بني مرين بين النص التاريخي والوثيقة الدبلوماسية...(جاهز للطبع).

6- ابن حجر: الدرر الكامنة ج1ص:147ج2ص:286ج3ص:350–د. التازي: تحقيق رحلة ابن بطوطة ج1ص211 التعليق 207.

7– د. التازي: المستدركات على تحقيقي: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، نشر وزارة الثقافة–الرباط، المغرب رقم الإيداع القانوني: 2004/0635– الطبعة الأولى ص 50–51–52.

8– رحلة ابن بطوطة ج1ص241–242.

9– تحقيق رحلة ابن بطوطةج1ص:220–221.

10– رحلة ابن بطوطة ج1ص265 تعليق42.

11– الرحلة ج1ص278 تعليق60.

12– تحقيق الرحلة ج1 ص284–285.

13– يذكر ابن بطوطة عن مصير التوزري أنه تمكن بعد معاناة خطيرة أن يقطع بعض الخطوات إلى أن وصل إلى سيدة حجازية كانت صاحبة الخيمة... أخذت بيده قبل أن يعود زوجها الذي حمله إلى مكة حيث وصلها وكأنه قام من قبر! ج2ص313.

14– الرحلة ج2ص:12–13.

15– رحلة ابن بطوطة ج2ص:352–353.

16– Stéphane Gsell : L'histoire Ancienne de L'Afrique du Nord T.V.P 162.Librairie Hachette 1917.

17– تحقيق رحلة ابن بطوطة ج3ص: 402–403–404.

18– وقع هذا الحادث في جنوب إيران سنة 748=1347 وليس عام 727=1327 حيث كان ابن بطوطة بدمشق ينتسخ كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، انظر المستدركات، منشوران وزارة الثقافة الرباط رقم الإيداع القانوني 0635–2004.

19– يراجع الجزء2ص437 والجزء4ص312 ومع كل هذا البحث اكتشاف غير مسبوق والمستدركات...

20– تراجع رحلة ابن بطوطة ج IV ص127، حول الفتيات اللاتي كن يقدمن لعفريت البحر، واقرأ مع هذا ماورد في عجائب المخلوقات للقزويني ص226من إهداء الفتيات للنيل!.

21– يوجد قبر في حاحا المغربية يحمل اسم سيدي أبي البركات لا صلة له بهذا، انظر مقدمة رحلة العبدري، تحقيق محمد الفاسي، نشر جامعة محمد الخامس– الرباط 1968.

22– نشر هذا الكتاب في طوكيو 1982 بتحقيق وترجمة هيكوايتش ياجيما Hikoichi Yajima عن معهد الدراسات اللغوية الثقافية لآسيا وإفريقيا. جامعة طوكيو.

23– نشر هذا الكتاب في طوكيو 1982 بتحقيق وترجمة هيكوايتش ياجيما عن معهد الدراسات اللغوية الثقافية لآسيا وإفريقيا. جامعة طوكيو.

24– د.التازي: رحلتي إلى الصين 10/10/10 جريدة العلم: الصين بين الأمس واليوم، آفاق الثقافة و التراث(مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث) شوال 1432= شتنبر2011صفحة90–91.

25– ينبغي أن تستوقفنا هذه الشخصية الكبرى: شخصية قوام الدين البشري صاحب المركب والذي له أخ في سجلماسة... ! تحقيق الرحلة ج IV ص281–282–276–377.

26– تحقيق رحلة ابن بطوطة ج IVص 317–318 تعليق 41.

27– تحقيق الرحلة ج IVص319.

28– تحقيق الرحلة 74

29– تحقيق الرحلةج IVص37–38

30– نزهة المشتاق ج1ص24 طبعة معهد الدراسات الشرقية نابولي، تحقيق الرحلة ج IVص395 تعليق44

31– د.التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج3 ص203 رقم الإيداع القانوني 1986/25 مطابع المحمدية(فضالة) المغرب

32– ابن الأحمر: شرح بردة البوصيري، تحقيق رحلة ابن بطوطة ج IVص394...